عنوان البحث: شخصيات بين الفنية والواقعية في رواية "بم تحلم الذئاب" للروائي "ياسمينة خضرا".

من إعداد : أ. سماحي رفيقة.

جامعة طاهري محمد/بشار

ملخص:

يهدف هذا البحث للكشف عن شخصيات رواية "بم تحلم الذئاب"، تلك الشخصيات الفنية التي تمتزج بأصوات واقعية، ويكشف البحث عن هاته الأصوات التي تمد العمل السردي بالجمالية والوضوح ما يجعله أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال، فالشخصيات الفنية لم تكن مجرد شخصيات يحركها الروائي متى شاء وكيفما شاء بل أضحت شخوص حقيقية أرواح تتحرك وتشعر، تتألم وتسعد.

Abstract :

This research aims at baring the charachters of the novel "what wolves dream". Those artistic charachters are mixed with real voices. This work also discovers these voices which give the literary work aesthetic and clarity that make it more approached to reality than fiction. Thus, those artistic charachters were not only characters that are moved by the novelist whenever and however he wants but rather real ones; souls that move, feels, suffers, and enjoys.

.

الكلمات المفتاحية: بم تحلم الذئاب؛ شخصيات رئيسية؛ ثانوية؛ نافا وليد؛ عائلته؛ عائلة آل راجا..

تمهيد: تتشكل رواية "بم تحلم الذئاب" من شخصيات وأصوات عديدة، فالشخصيات ليست حبرا على ورق لا وجود لها إلا بين ثنايا الكلمات بل غدت أرواحا لها قضاياها ومشاكلها، فالشخصية أهم عنصر في العمل السردي ولا يمكن لأي روائي الاستغناء عنها فهي محركة الأحداث وقد ركز الروائي في عمله السردي "بم تحلم الذئاب" على الشخصيات التاريخية كون الرواية تتحدث عن العشرية السوداء بعدها فترة حرجة في تاريخ الجزائر

المجيد، فكيف صاغ تلك الشخصيات الفنية وأسقطها على الواقع؟ وإلى أي مدى أسهمت تلك الشخصيات في تشكيل البنية السردية؟

نبذة عن رواية "بم تحلم الذئاب" للروائي "ياسمينة خضرا":

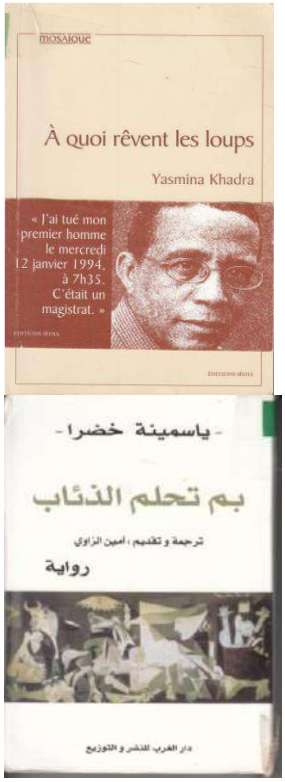

تتحدث رواية "بم تحلم الذئاب" عن العشرية السوداء، فترة التسعينيات في الجزائر، وتحكي قصة البطل "نافا وليد" شاب من أبناء القصبة بالجزائر يطمح أن يكون ممثلا مشهورا، بعد مشاركته في دور صغير في فيلم "أبناء الفجر" الذي يفشل فشلا ذريعا، تتبدد أحلامه فينتقل للعمل عند عائلة مشهورة بالعاصمة عائلة "آل راجا" كسائق، تتغير نظرته للحياة بعد رؤيته للشهرة والمال، السيطرة والخيانة، يستعين به حميد الذي يقوم بتشويه الفتاة المقتولة التي كانت تمرح مع ابن السيّد "جينيور" يبعدها في "غابة باينام" ويقوم بتشويهها، يندم البطل على مساعدته لحميد في الجريمة وإخفاء الجثة، بغادر القصر إلى منزل أبيه بباب الواد، يغلق على نفسه أياما دون رؤية أحد، ثم يعزم على التوبة متجها إلى المسجد أين يلتقى بالشيخ الإمام يونس أحد أعضاء الجبهة الإسلامية، يسرد عليه ما جرى له، فيرحب به الشيخ ثم يقترح عليه الانضمام معهم وشيئا فشيئا يوافق البطل، ويصبح أحد رؤساء الجبهة نتيجة أعماله التفجيرية وقتله للأبرياء في القرى والمداشر، وأخيرا يحاصر رجال الأمن منزل عمّ حنضلة الذي كان قد احتمى إليه البطل وجماعته.

يصوّر الروائي البطل ذلك الفتى الحالم البريء الذي يتحول إلى أمير لإحدى الفرق و يقوم بإطلاق العنان لرغباته المكبوتة.. القتل ثم القتل. يغزو قرية فيقوم بذبح كل من فيها عن بكرة أبيهم.

نافا وليد نموذج لعديد الشباب الجزائريين الذين هربوا من جحيم الانغلاق السياسي و الاقتصادي إلى الحل الإسلامي الذي دعا إليه الفيس قبل أن يجدوا أنفسهم في أحضان الإرهاب.

الشخصيات وصفاتها في رواية "بم تحلم الذئاب":

تتعدد الشخصيات في رواية "بم تحلم الذئاب" وتتنوع فالشخصية أحد أهم العناصر الأساسية المكونة للعمل الأدبي ولأهميتها "لم تستطع أية قوة أن تسقطها من على المنصة التي وضعها القرن التاسع عشر عليها، بل إن النقد لا يعترف بالروائي الحقيقي إلا بها، فالروائي الحقيقي هو ذلك الذي يخلق الشخصيات"[1]، والعمل الروائي تكمن قوته في حسن اختيار الشخصيات وكيفية انتقائها يقول أندريه جيد: "الرواية كما أتعرف عليها أو أتخيلها تتضمن تنويعة من وجهات النظر تخضع لتنويعة من الشخصيات الموجودة على المشهد"[2]، والروائي لا يبني شخوصه عبر سرد جاف غير مقنع بل يترك للشخصية بعض الحريات بحيث يختارها بكل ذكاء وتغدو أكثر إقناعا، وتنغمس في المجتمع معبرة عنها لأن الحياة بمشاكلها المتنوعة اقتضت "تسخير الأدب لتحليل الحياة الاجتماعية ونقدها والايحاء بالثورة على الفاسد منها"[3]، فبعض الشخصيات أدت بهم المشاكل الاجتماعية ودفعت بهم للهاوية ولأن يكونوا إرهابا يقتلون ولا يرحمون.

نافا وليد: الشخصية المحورية في الرواية، وهو السارد في الوقت نفسه لمجريات الأحداث، ابن حي من أحياء القصبة بـ"باب الواد" من عائلة فقيرة، عمره ستة وعشرون عاما، كان يحلم أن يكون ممثلا مشهورا، عمل كسائق لدى عائلة آل راجا الثرية بالجزائر العاصمة، تورط مع حميد في مقتل فتاة في الخامسة عشر من عمرها تنتهي الجريمة بسحق وجهها ورميها في غابة باينام بالجزائر العاصمة "يضرب حميد الجثة، ثم يضرب ويضرب...ملطخا وجهي بالدماء وبشظايا العظام المتناثرة، كل دقة أو صوت كان يثقب فكري ويقوسني أكثر"[4]، يترك العمل لينزوي في منزل عائلته بالقصبة، ذات فجر يسمع المؤذن، يلتحق بالمسجد للصلاة وهناك ينغمس في قاع الإعصار الأصولي بمحاورته للإمام يونس. ينحدر شيئا فشيئا إلى هاوية الإرهاب ليصبح قائدا للكفاح المسلح، نتيجة أسباب عديدة اجتمعت لتجعل منه شخصية حقودة، مسلوبة الإرادة، ملوثة الأفكار، راغبة في الانتقام لذاتها بالثورة على الآخرين وضربهم في هويتهم بممارسة فعل الإرهاب "لماذا لم يمسك جبريل رئيس الملائكة بذراعي عندما كنت أتأهب لقطع حنجرة ذاك الرضيع المتقد حمى؟"[5]، "لقد قتلت أول رجل، أول ضحيتي يوم الأربعاء 12 جانفي 1994"[6]، يغتصب "نافا" السبيات في الجبال، ثم يتزوج من زبيدة بعدما تقتل زوجها عبد الجليل، يحاول الانتقام من جونيور وحميد لكنه يفشل في ذلك.

تتوالى أعماله الإجرامية يحتمي بمنزل عم حنضلة صديقه، الذي يشي بهم، تختم الرواية بمحاصرة العمارة وسماع البطل لطلقات الرصاص، وكالمعتاد يترك الروائي النهاية مفتوحة ليطرح القارئ تساؤلات عديدة: هل قبض على البطل أو هرب أو ماذا حل به؟ من أطلق النار على العمارة؟ لم يفصح الروائي عن النهاية تاركا للقارئ حرية إتمام الرواية.

إن شخصية البطل كانت محورا أساسيا في المتن الروائي فيه تطورت الأحداث نتيجة لأعماله وتحركاته، وما البطل إلا انعكاس لشخصيات واقعية عديدة تشبعت بأفكار فاتجهت لتحقيقها.

أم البطل (وردية): غير متعلمة، مشغولة دائما في تدبير شؤون البيت، كان البطل (نافا) يحبها، دائم الحديث معها، أخذ رأيها لمّا أراد خطبة "حنان" أخت "نبيل" فشجعته بالحديث مع نبيل (أخو حنان). كانت سعيدة مع أسرتها، لكن سرعان ما تتلاشى هذه السعادة بعد مغادرة ابنها للمنزل والتحاقه بالجبل ووفاة زوجها، يصفها الروائي بقوله: "لقد جاءت السنين على أم وليد نافا بسرعة، بضعة أشهر كانت كافية للقضاء عليها..من ذلك الوجه المنير الذي كانت تتمتع به ..لم يبق سوى قناع حزين، داكن وكئيب، وعينان متعبتان ساهرتان كشمعتين وسط غرفة الأموات"[7]، توفيت إثر عملية تفجيرية في السوق هي وابنتها الصغرى نورة، تقول "أميرة" للبطل لما سألها عن والدته: "خرجت لشراء زوج نعل لنورة. انفجرت قنبلة في السوق. لم نعثر من نورة سوى عصابة رأسها"[8].

تظهر الأم في الرواية حنونة عطوفة محبّة لأبنائها خاصة البطل الذي لحق بالجبل وابتعد عنها، فهي تريده بقربها ليساندها في محنتها، كحال كل الأمهات التي تدافع عن أبنائها وتحبهم، وقد رسم الروائي صورة الأم في سعادة وهناء مع زوجها وأبنائها في الصفحات الأولى من الرواية، لكن سرعان ما يحدث تحول لهاته

الشخصية وتصبح الأم الضحية الأولى كونها أصبحت أرملة وثكلى في الوقت عينه، فابنها وليد الذي كان يحبها فقدته وغادر للجبل ولم يعد إلا بعد وفاتها.

والد البطل: رب عائلة، متقاعد، عامل سابق في السكك الحديدية، متسلط اتجاه ابنه الوحيد، لا يتحدث معه إلا نادرا، لكن سرعان ما يضعف أمام قوة ابنه: "مسك نافا والده من ذراعه ودفعه عرض الحائط، وإذ تحركت اليد بعنف، سمع طقطقة ذراع الشيخ. الفم ململم من الألم، الساقان مقطوعتان، لم يبق له سوى العينين للسخط"[9]. كان البطل ينتظر مكالمة مراد بريك الذي نصب عليه فأخبره أبوه أن لا أحد اتصل، فهجم عليه غاضبا، كان البطل يكره أباه قائلا: "أعود إلى بيتنا فيلقاني أبي وهو في حالة من التوتر والغضب، مسمرا في زاوية....كنت أكرهه، أكره أسنانه الاصطناعية المتعفنة المنقوعة في كأسها"[10]. اعتقد البطل –عند ذهابه للجبل– أن الشرطة قتلت أباه لكن والدته ألقت اللوم عليه قائلة: "–أنت الذي قتلته، كانت الشرطة تبحث عنك. لقد جاء رجال الأمن للتفتيش واحتج أبوك، فأظهروا له ما كنت تخبئه في درجك، لحظتها وضع يده على قلبه. لم يتحمل أن يتحول ولده الوحيد والذي كان يمثل كل آماله إلى إرهابي"[11]، يظهر الأب في الرواية كحال بعض الآباء اتجاه أبنائهم مسيطرا متسلطا، لكنه وقور ومهاب، يُصدم ويصاب بالذهول عندما يقذفه ابنه الوحيد ويرميه عرض الحائط، يرى الوالد في ابنه كل الآمال والطموحات التي عجز هو عن تحقيقها، يغيب الابن فتأتي الشرطة للبحث عنه وترى أشياء تثبت إدانة الابن وأنه مطالب لدى الشرطة يصدم الأب ويتوقف قلبه فجأة لهول ما رأى، فشخصية الأب عكست شخصيات عديدة في العشرية السوداء وتفاجأ بعض الآباء من أفعال أبنائهم الإجرامية كما استحضرت هاته الصورة صور لشخصيات في عصرنا الحالي.

سيد علي: شاعر القصبة وعندليبها، كان منزله حذو السجن، "كان سيد علي الشاعر مسرورا في فقره الروحاني.....كان سيد علي أعظم شاعر بعد المتنبي"[12]، شخصية محبة للحياة تسعد الآخرين بطربها، ينظر إليه الأصوليون نظرة الخارج عن قانونهم وشريعتهم بقاذوراته الموسيقية، "لم يكن سوى فاتنا أبلها"[13]، يحاول "سيد علي" باستمرار التأثير على أعضاء الحركة المسلحة لكنه لم يوفق في ذلك، ما دفع بأمير الحركة بأمر إحضار رأس الشاعر فأجهز عليه "أبو مريم" برميه بالرصاص، يقول الروائي عن سيد علي:" لقد هوجم في منزله، في الصباح الباكر. كان الشاعر في انتظار مغتاليه، لقد رفض الهروب، وقد أدرك ما كان يدبر له، اكتفى فقط بإرسال زوجته إلى مكان ما، ليواجه مصيره لوحده"[14]، طلب منهم قبل أن يموت أن يحرقوه بالنار تفاجأ "أبو مريم" وسأله عن ذلك. فأجابه: "لوضع قليل من النور في ليلكم وسديمكم"[15]، تظهر هذه الشخصية مرحة قوية تتصدى للأعداء تستهزئ بهم وتسخر منهم، وهذا ما بينه المقطع الأخير الذي مات فيه الشاعر موت الشجعان لم يذل يوما للجبهة الإسلامية ولم ينحن لها تشبث بأفكاره ودافع عنها حتى الموت.

نبيل غالم: ابن من أبناء القصبة، وأحد أعضاء الحركة، لا يثبت في مكان، تجده في المسجد، التجمعات، شخصية متهورة مزعجة، شديدة، ترأس لجنة الحي للشباب الإسلامي فقضى على الملاهي والسهرات الليلية، حوّل الخمارات إلى دكاكين وقاعة اللعب الوحيدة إلى مكتبة قرآنية، نشط كثيرا في الحركة، كان شديدا صارما يهابه حتى أفراد عائلته، أمه وأخته حنان، وإكرام أخته الصغرى كانت تخشاه ترتجف عند رؤيته، كان

متسلطا داخل منزله وخارجه، هاته الشخصية شدّت انتباه القارئ وجعلته معادي للتصرفات التي تقوم بها من تسلط وبطش وتدمير وقتل، فحتى عائلته لم تسلم منه.

حنان: الأخت الكبرى لنبيل فتاة متعلمة محجبة، تعمل في شركة محترمة، أحبها البطل، كان يرقبها من بعيد دون علمها، لم تكن تأبه بمعاكسة الشباب الحمّق لها، مطأطئة الرأس، غادرت العمل بطلب من أخيها نبيل، شاركت في مسيرة تنديد بالممارسة الذكورية المتخلفة والابتزازات المتطرفة التي نظمتها جمعية النساء يوم الخميس بدعوة من صديقتها الرايس، انتهت التنديدات بطعنات سكين وجهها نبيل أخوها إلى قلبها ثم جنبها وبطنها لغضبه عند سماعه بخروجها من المنزل، وكان قد حذّرها من ذلك، "أدخل يده في جيب قميصه، مسك بقوة على السكين...قذرة، قذرة...ضربها تحت الثدي، هناك حيث تختبئ النفس الضالة، ثم طعنة على الجنب، ثم أخرى على البطن..."[16].

حسان و إبراهيم الخليل و أبو مريم: ثلاثة أفغان، وهم من عناصر الميليشيات بمسجد "كابول" بالقبة، يأتون للاطلاع على نظام سير الإضراب، ولمساعدة نبيل غالم، أكبرهم حسّان فقد ذراعه في بيشاور عند تدربه على صنع المتفجرات، يستدعي هذا الاسم شاعر الرسول: حسّان بن ثابت، "أما الاثنان الآخران فينتحلان اسمين غريبين، أبو مريم وإبراهيم الخليل. حملهم للسلاح في أفغانستان كان قاسيا إلى درجة أنهم لم يصدقوا أن تلك الفترة قد انتهت"[17]، انتحل الروائي أسماء شخصياته من الثقافة الدينية فإبراهيم الخليل شخصية بارزة في الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية، وهو خليل الرحمان، جاء في الآية القرآنية: ﴿واتخَذَ اللهُ إبْراهِيمَ خَلِيلاً﴾[18]، وأبو مريم لقب به الأفغاني الثالث الذي لا نعرف اسمه في الرواية إلا هذا اللقب الذي يستدعي آل عمران ومريم العذراء بنت عمران وأم عيسى المسيح. كلها أسماء استقاها الروائي من التراث الديني إلا أن أعمال الثلاثة كانت عكس ما ينص عليه الدين من إراقة للدماء واستبداد وتسلط، فحسّان لم يذكر في النص إلا مرتين أما الاثنان الآخران فذكرا مرات عديدة، يقول الروائي عنهما: "هما العنصران الرهيبان والمخيفان...كان لقباهما أسطورة. وقد اغتالا، هما لوحديهما: ثلاثة ضباط من الجيش من بينهم ضابط برتبة عقيد، أربعة من رجال الشرطة، وصحفيين وعالما"[19]، ترأس إبراهيم الخليل مجموعات غرب العاصمة واختار أبا مريم مساعدا له، ومعروف عن الأول أنه كان مخيفا بسلوكاته السيئة في حي القصبة، وقد تم سجنه مرات عديدة في مؤسسات إعادة التربية.

الإمام يونس: إمام مسجد شاب في الثلاثين من عمره، يحبه سكان القصبة لأخلاقه ولطفه، كسب ثقتهم، يسمع مشاكلهم ويسعى لحلها، يصالح بين المتخاصمين،"جميل كأمير، بعينين شفافتين مكحلتين ولحية مصبوغة بالحناء"[20]، أول من أسرّ له البطل عن مشاكله بعد عزلته، حكى له عما جرى معه عند عائلة آل راجا، رحب الإمام بنافا وطلب منه الرجوع إلى الله والتوبة. شارك الإمام هو الآخر في نصح الشباب عبر خطبه للانضمام إلى الجبهة الإسلامية، وجمع التبرعات للعائلات المنفية والمعتقلة، تستدعي هاته الشخصية سورة يونس في القرآن الكريم، والنبي يونس بن متى أرسل إلى قرية نينوى دعا أهلها إلى الله لكنهم عصوه فذهب مغاضبا إلى البحر ولولا تسبيحه في بطن الحوت للبث فيه إلى يوم البعث، كان الإمام يونس أميرا و مسؤولا

على عدة جهات قبل أن يتم طرده من قبل الأمير الجديد إبراهيم الخليل الذي ضرب شبكة الدعم، وأعدم أهم مسؤوليها لأسباب تافهة.

السيدة راجا: شخصية بائسة حزينة، مخدوعة، لا تنعم بالسعادة رغم غناها، هادئة، لا تكثر الكلام، انهار جسدها وهي لا تزال في الخامسة والخمسين من عمرها، "وجهها الذي قرضه المرض بدا مستسلما"[21]، كانت تصارع المرض حتى ماتت، يقول حميد لنافا الذي عزم على قتله هو وجينيور: "إننا عائدون من جنازة السيدة راجا. لقد توفيت المسكينة البارحة. لقد أوصت أن تدفن بالقرية، مسقط رأسها"[22]، استدعى الروائي شخصيات واقعية عبّرت عنها شخصية السّيدة التي يئست من حياة الخداع والمكر على الرغم من غناها.

السيد راجا "صالح": عادة يستدعي هذا الاسم الخير والصلاح والنفع لكنه في الرواية جاء عكس ذلك. مترف، مبذر لأمواله، مخادع لزوجته مع أختها وسكرتيراته، تقول السيدة راجا: "ما قصدك يا صالح؟ قد أتفهم أن تخونني مع سكرتيراتك الكثيرات، لكن أن يكون ذلك مع أختي..."[23]. جاءت هاته الشخصية لتبيّن الوضع القاسي الذي تعيشه أغنى عائلات الجزائر، والمشاكل الكثيرة التي تواجهها فالمال الكثير لا يجلب السعادة وهذا ما بيّنه المقطع السابق.

جونيور: ابن عائلة آل راجا، فاحش الثراء، ودلت على ذلك مقاطع عديدة على لسان البطل: "على شاطئ المسبح رجل يرتدي كيمونو يترنح في كرسيه المهزاز... يبلغ من العمر ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين"[24]، يملك مطعما خفيفا (سناك) في 61 شارع فخار. الفوكيتس، شخصية متكبرة، متسلطة، غير مكترثة بالآخرين، مغرورة، زير نساء، يتسبب في قتل فتاة لا تتجاوز العشرين بعدما ناولها قنينة خمر أودت بحياتها.

حميد سلال: رجل قوي مفتول العضلات، أسود اللون، "مزودا بذراعين هرقليين ووجه فظ ومورم"[25]، حصل على ميدالية ذهبية في ألعاب البحر الأبيض المتوسط، حائز على البطولة العربية مرتين، نائب بطل العالم العسكري، ثم نائب بطل إفريقيا، كان ملاكما محترفا، بقي سنتين في مرسيليا، ثم عاد ليجد نفسه منظف صحون في حانة، بعدما طرد من الفريق الوطني، تعرف على جينيور في الكباريه، فصار حارسه الشخصي، كان نشيطا، محبا لرئيسه ممتثلا لأوامره، يدافع عنه، يقول للبطل الذي كاد أن يقتل جينيور فنصره حارسه الشخصي بلكمة وجّهها لأبي تراب ووضع حدّ السكين تحت حنجرته: "لقد نبهتك يا نافا، إن جينيور هو غذائي الروحي، هو عطاء لي من الله، لن أترك أحدا يمسه بسوء"[26]، يصوّر الروائي هذه الشخصية قويّة مدافعة عن سيّدها مخلصة ووفيّة له، ترافقه في السرّاء والضرّاء، تضحي بنفسها لأجل أن ينعم سيدها بهناء وسعادة، ومثل هاته الشخصية نادرة في مجتمعاتنا، فالإخلاص والوفاء قليل، والمكر والخداع منتشر، وقلّ من يحبّ للآخر ما يحبّ لنفسه أو أكثر.

السّيد فيصل: رئيس الخدم، وعلى الرغم من أنه بلغ الستين إلا أنّه شخصية صارمة مواظبة على عملها، كانت حركاته متصنّعة ونظرته جافة، يخشى السّيدة راجا، ويهابها ويرى أن أي حادث منزلي يعد المسؤول الأول عنه، لذا حاول أن يوضح للخدم بما فيهم السائق نافا أعمالهم وأن يطبقوا تعليماته، لذا تظهر هاته الشخصية مطبّقة لأوامر أسيادها، متسلطة يهابها الخدم.

صونيا: بنت آل راجا الوحيدة، فتاة جميلة نحيفة طويلة القامة شقراء، رشيقة القد، مترفة، عادت من جنيف إلى العاصمة. خدعت من قِبل خطيبها الذي وجدته في النادي مع إمرأة أخرى، فحاولت الانتقام منه مع السائق "نافا وليد" قائلة له: "جد لنا مكانا مريحا، وتعال لتنتقم لي من ذلك الحقير الانتهازي"[27]، يصوّرها الروائي شخصية مترفة مثقفة، تحب المرح جميلة وفاتنة تجذب كلّ من ينظر إليها، لكنها تخدع فتنتقم من خطيبها بإيذاء شرفها، هذا حال تفكير بعض الفتيات في واقعنا.

عمار باي: خطيب صونيا، يقول عنه البطل: "أمسكني من عنقي، وراح يدفعني نحو الحائط"[28]، اشتهر وذاع اسمه بعدما خطب ابنة آل راجا. تقول صونيا: "سأذهب لأدق عنقه نهائيا، لا أحد سينظر إليه، سأحرق أوراقه في كل مكان. بفضلي أنا كان الناس يتكرمون في استقباله. أنا التي صنعته، لم يكن شيئا، لا شيء على الإطلاق، من قبل. إذا اعتقد إنه قد وصل فقد أخطأ كثيرا..."[29]. يصوره الروائي كشخصية مترفة مخادعة، متسلطة، ومغرورة.

ليلى سكار: ابنة دبلوماسي، ذات الأربعين سنة، يقول عنها الروائي: "إنها قادرة أن تدير رؤوس التماثيل...يحكى أن أميرا مشرقيا قد تخلى عن ألقابه لمجرد أنها طلبت منه ذلك"[30]، تعود إلى منزلها قبل الفجر، لأن "زوجها يدخل عند الفجر؟"[31]، يرسمها الروائي كشخصية مخادعة لزوجها، مع رجال كثر من بينهم جونيور ابن عائلة آل راجا، غنية، أهدت للبطل ساعة من ذهب، مثيرة بجمالها وذكائها.

السيدة رايس: إمرأة متحضرة، متعلمة، عاملة، طويلة وجميلة، "مرتدية معطفا طويلا، لباسها الأوروبي شد انتباه الصغيرة"[32]، زميلة حنان في العمل، شخصية مرحة، حرة لا تحب القيود، تشارك في جمعية النساء، والاحتجاجات غير آبهة بتمرد الشباب، صامدة، مسؤولة. تقول:"أنا حرة، ما أملكه لم أحصل عليه بفضل أحد غيري. لقد رسمت حياتي بنفسي. أذهب حيثما أريد. مرفوعة الرأس، تزوجت بالرجل الذي أحببت. لقد ولى زمن دواب الخدمة"[33]، ثائرة على الأوضاع التي كانت آنذاك في محاربة الشباب للمرأة المتبرجة، العاملة، وهي نموذج لنساء تصرفن مثلها في تلك الفترة.

مراد بريك: ممثل متميز مثّل في فيلم "أطفال الفجر"، دور ابن عم البطل نافا، كان تائها، حيث يحاول البطل مساعدته والدفع به للرجوع إلى طريق الصواب، لكنه يرمي بنفسه تحت عجلات قاطرة، ليكون عبرة للكبار والصغار، الذين يقومون بهذر أوقاتهم نتيجة العلاقات السيئة والفراغ. كان بريك مفلسا جائعا عند تصوير الفيلم، لكن وضعه تحسن بعدها، تحصل على جائزة في مهرجان سينمائي إفريقي. بعد نجاحاته الباهرة قرر الذهاب إلى باريس –حسب ما قاله لنافا– بمساعدة المركز الثقافي الفرنسي الذي قدّم له منحة تربص لتحسين طاقته الفنية في التمثيل، فصمّم البطل أن يرافقه، دفع له مبلغا ماليا، وجواز سفره أخذهما مراد بعدها لم يعثر عليه. صور الروائي هاته الشخصية محتالة خائنة، تنهب الأموال، تكذب تسرق، ثم تهم بالفرار، يقول الروائي: "مراد بريك، نصّاب...يتحول ممثل موهوب إلى شخص بتصرفات غير لائقة ومؤسفة؟ هذا الأمر مخجل بالنسبة له وللسينما. هذا عيب، عيب... يبدو أنه خدع ونصب على زملاء آخرين"[34]، يحتال على الآخرين ثم لا يرى له أثر.

رشيد دراق: متزوج، أب لأربعة أطفال، عمره سبعا وأربعين سنة، يقطن بحي عمران الجناح c رقم الباب 1، أنهى دراساته السينمائية بموسكو، سكّير شهير. مخرج فيلم (أطفال الفجر) الذي أظهر نافا وليد، قدم إلى الجزائر العاصمة في السبعينيات، أخرج للتلفزيون بعض الأشرطة قبل ذهابه إلى موسكو لدراسة السينما، تحصل على المرتبة الأولى في دفعته عاد إلى الجزائر دون عمل. كان بصدد تحضير شريط عن "الأصولية" ليعرضه في مهرجان أوروبي...ذبح رشيد دراق أمام أطفاله من قبل الجماعة المسلحة.

دحمان: صديق البطل، مات أبوه في حادث، لما بلغ الثالثة عشر من عمره أضحى رب الأسرة، تحصل على شهادة البكالوريا، اشتغل في العديد من المركبات السياحية، بعد فترة تربص في معهد الفندقة بتيزي وزو، كانت له علاقات كثيرة في أوساط البورجوازية العاصمية، وهو الذي عرض على البطل العمل كسائق لدى عائلة راجا، شجاع نصوح للبطل، يخفف عنه كل ما همّ بمشكلة، يقول البطل: "أخذني دحمان للعشاء في مطعم برياض الفتح. وطيلة السهرة، أرهقني بسيل من النصائح"[35]، مترف ، يملك نادي ليلي شهير(فاران–روا)، له شقة رائعة في شارع ديدوش مراد، كان يحلم أن يتزوج إمرأة من مجتمع الأثرياء، تحسن التعامل مع الطبقة الثرية، تعرف طقوس الاستقبال والخرجات، كان يذهب إليه البطل في بيته وسط المدينة "كانت شقته واسعة وأنيقة، مزينة بألواح زيتية جميلة، أرائك منفوخة وستائر حريرية. لم يكن ينقص دحمان أي شيء، كان كافيا وميسور الحال، له طفلة صغيرة محبوبة وزوجة ودودة ذات ابتسامة تشع كثلوج "تيكجدة"[36]، زوجته جميلة وأنيقة إضافة إلى أنها متعلمة وتدرّس علم النفس في الجامعة، كان دحمان سعيدا ويحسده البطل على ذلك.

الأمير جعفر: أمير الحركة ورئيسها ينظم العمليات ويأمر مرؤوسيه بجمع التبرعات ومهاجمة البساتين والقرى، يناصر الباطل باسم الحق، وعن طريق المخالفة يستحضر الروائي شخصية دينية: جعفر بن أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو تتبعنا سيرته لوجدناه شجاعا، ثابتا صادقا مناصرا للحق لا يقبل الباطل. وكنهاية كل ظالم يصور الروائي نهاية رئيس الإرهابيين الذي كان من بين الضحايا، قتل من قبل العسكر، في اجتماع أساسي للتخطيط لمزيد من العمليات "سبع جثث ملقات إلى جانب بنادق حرب، قنابل من صنع تقليدي، رزمات أوراق نقدية وحفيف وثائق"[37].

الإمام عثمان: إمام مدينة بليدة السابق، التحق بالجبل، ألقى خطبة على أعضاء الجماعة: "شرح للحشد بأن عليهم جميعا أن يحذروا من الحكام الذين يحاولون إقحامهم في دسائس شيطانية"[38]، ذكره الروائي مرتين في صورة حزينة: "بكاه الإمام عثمان بدموع حارة"[39]، جاء هذا المقطع في شأن الأمير عبد الجليل الذي قتل، وجاء في مقطع آخر: "جالسا على صخرة، كان الإمام عثمان يبكي. إذا كان لاشيء يستحق الاعتبار في عينيك، قل لنفسك إنك لا تساوي شيئا ذي قيمة. قالها الشيخ عثمان متمتما في شبه صلاة"[40]، صوّر الروائي الإمام في حواره مع نافا، ورؤيته للمجازر التي قام بها البطل، تحسر على الوضع وقتل الأطفال وأخذ يبكي، متمتما ليعظ الشاب الحالم عله يستفيق، لكن دون جدوى، بل قام نافا بإطلاق الرصاص عليه: "صوبت مسدسي نحوه وقتلته"[41].

سفيان: شاب أنيق طويل ورياضي، شعره طويل يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما، بوجهه الطفولي وابتسامته الهادئة المؤثرة، قائد لمجموعة تتكون من ثمانية عناصر شابة من عائلات الأغنياء لا يتجاوز عمر الواحد منهم الثانية والعشرين، مركز قيادتهم في قلب الجامعة، كانت المجموعة مختصة في تصفية رموز السلطة القضائية، الشيوعيين ورجال الأعمال، يملك سفيان فيلا جميلة فاخرة في أعالي حي بن عكنون، مع زوجته هند، يستدعي الاسم أبا سفيان زوج هند بنت عتبة وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني، وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام.

هند: زوجة سفيان، تكبره بأربع سنوات، "إمرأة باردة وشرسة بصُفرة رخامية، حساسة للجواهر كما للتآلف مع الآخرين"[42]، تقود السيارة عند العمليات متنكرة في زي أجنبية، بشعرها الطويل الأسود المسدول على كتفيها، تستدعي الشخصية التاريخية هند بنت عتبة وهي إحدى نساء العرب اللاتي كانت لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده. زوجة أبي سفيان بن حرب، إمرأة لها نَفسٌ وأنفة، ورأي وعقل. شهدت غزوة أحد كافرة مع المشركين، ومثلت بحمزة بن عبد المطلب عم محمد رسول الله، وكانت من النسوة الأربع اللواتي أهدر الرسول دماءهن يوم فتح مكة، ولكنه عفا وصفح عنها حينما جاءته مسلمة تائبة حيث أسلمت يوم فتح مكة بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة، فهند في الرواية شخصية انتهازية متسلطة، متكبرة إرهابية، تخطط للعمليات، رأيها مسموع من قبل القادة، وبهذه الصفات تكون قد تقاطعت الشخصية الفنية مع الشخصية الواقعية "هند بنت عتبة" قبل إسلامها. غيرت هند في الرواية من وظيفة الأنثى التي طالما صودرت أنوثتها من جهة، و من جهة ثانية المرأة الحنون المعطاء.

حمزة أيّوب: دهان العمارات، "يلبس صالوبيت ملطخة ببقع الدهان وحذاء عفن، بطاقينه المتسخة المنسحبة حتى الأذنين"[43]، أحد أعضاء الحركة ينشط في الجبل، يأتيهم بالأخبار: "لدي أخبار سيئة جدا، علي أن أبلغك إياها، يا أخي نافا، بشأن أبيك...الطاغوت، لقد اغتالوه في بيته، أمام ذويه، إني آسف"[44]، يستدعي هذا الاسم عن طريق المخالفة حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلّم المعروف بشجاعته والنبي أيوب الذي يرمز للصبر.

صالح لاندوشين: عضو مساعد في التنظيم المسلح ثم يرتقي، شارك في عدة حروب منها: حرب الهند– الصينية وعمره لا يتجاوز العشرين، وثورة نوفمبر 54 وفي حرب الحدود ضد المغاربة سنة 63. وبما أنه يعرف الطرقات ويتسلق الجبال فقد كان دليل الجماعة المسلحة، يقول صالح عن حرب الهند الصينية التي لقب بها "لاندوشين": قضيت شقاء سنتين. لم تكن تلك الأرض بلدا، إنها مدفن شاسع للجثث. كنا نقضي معظم الوقت في دفن موتانا أكثر ما كنا نقضيه في الرد على الهجومات"[45]، شخصية حرة طليقة تفعل ما يحلو لها دون عقاب أو لوم، يستمر صالح في بهلوانياته رغم مرتبته المحترمة في الجماعة المسلحة، "كان ذلك هو هدفه وتلك غايته: هو أن يكون ممقوتا وكريها"[46]، يتصف بالكذب والاحتيال والخداع ونكران الجميل، فهو طالح لا صالح، أكرمه شيخ وزوجته وبعد إكرامهما له قتلهما: "أخرج صالح خنجره ثم طعن الشيخ على مستوى الكلية، ثم أردفه بطعنة ثانية على مستوى البطن"[47]، يضيف:"سحبه من جلد جمجمته، أمال الرأس نحو الخلف، ثم حز له الحنجرة بعمق

حتى أتت شفرة المدية على الفقرات الرقبية، وإذا بضخة دم فوار تلفح وجه صالح، تذوقها صالح لاندوشين بتلذذ"[48].

أبو تراب: أحد أعضاء الجماعة المسلحة، كان يناصر القضية مع نافا وجماعته، غضب لما سمع بتصفية إبراهيم الخليل لعناصر جماعة الشيخ يونس القديمة، والتهمة التي وجهت له بإطلاق النار على الشاعر سيد علي مع أن أبا مريم هو الذي كان يحكم يومها، كما أنه لم يرتح لحركات لا ندوشين الابتزازية: –أتمنى أن يكون قد سحق، قالها أبو تراب متمتما: لقد سئمت من حركاته هاته"[49]، تتوالى أعماله الإرهابية مع جماعته إلى أن تأتي نهايته في منزل عم حنضلة: "وحده أبو تراب لا يزال يتنفس، منهارا أسفل حوض المطبخ، بندقيته فوق ركبتيه"[50]، يردف قائلا: "سيلان لعاب نزل من شفته قبل أن يدرك لحيته في رجفة مترددة، بيده اليمنى أزاح قميصه الملطخ بالدم عن جرح غائر كان يلتهم جنبه"[51].

سهيل: جندي هارب من الخدمة العسكرية، شارك في عملية الهجوم على مركز القيادة البحرية، كان ضابط صف في البحرية الوطنية، مخادع لرفاقه، إرهابي، ناهب لأمتعتهم، يقتل صديق الغرفة وعسكريين آخرين، ثم يفر حاملا معه أسلحة وأمتعة (ثلاث بندقيات رشاشة، سلاحان يدويان، صندوق من القنابل اليدوية والقائمة الكاملة بأسماء الضباط) [52]، فعل ذلك كله ليحظى بلقب "أمير" لكن ذلك لم يحصل، فعزم على العودة إلى الجزائر العاصمة، لكن نافا نصحه بالصبر. صبر سهيل أسبوعا وذات صباح سجل غيابه فعمّت فوضى عارمة، وبدأت مطاردته، يقول البطل: "وفي يوم الغد، عند قيامنا لآداء صلاة الفجر، اكتشفنا سهيلا معلقا من رجليه في عمود لساحة القرية. كان جسده عاريا ومكززا. كان مذبوحا وقد قطعت حنجرته من الأذن إلى الأذن الأخرى"[53]، لا يوجد طريق ثالث عند الجماعة المسلحة فإما طريق الله أو طريق الشيطان كما يزعمون، وعلى الإنسان اختيار طريق واحد فمن اختار طريقهم عليه الدفاع عن القضية ومناصرتها، ومن اختار غير ذلك فسيقتل ويمثل به كما فعل بسهيل ليكون عبرة لمن يحاول الهروب، أو خداعهم، وقد يحضر إلى الذهن أن "سهيل" هو اسم نجم من النجوم يماثلها ويسير بعكس سيرها، وهذا ما حدث مع سهيل فعلا فدلالة اسمه عبّرت عن ذلك فسهيل يماثل الحركة لكنه يسير بعكس سيرها.

عبد الجليل: ابن عم شرحبيل، مكلف بقيادة المفرزة المتنقلة للوحدة، عملاق هرمي طويل وعريض، إلى حد أنه لم يكن يجد حذاء يناسب مقاسه، صوته مسموع كالمدفع، شعره طويل مضفور، زوج زبيدة، أدمج البطل وأبو تراب في فرقة عبد الجليل الذي كان صارما، قويا، ينصب الكمائن في الأدغال ليوقع الجنود: "وفي أقل من عشر دقائق أتى الكمين على سبعة عشر جنديا، كما تم الاستيلاء على حوالي عشرة أسلحة رشاشة، والعدد نفسه من الصدارات الواقية من الرصاص، صناديق من الذخيرة الحية، جهاز راديو، كما تم تدمير شاحنة وسيارة من نوع "جيب"[54]، تنتهي حياته بقتله من قبل إمرأة، وقبل أن يلفظ أنفاسه قال: "مهزلة! أيقتل عبد الجليل على يد إمرأة. حتى في الجنة، سأكون هناك ممهورا"[55].

أبو الهول: أخو زبيدة، نشط في الأدغال كان اليد اليمنى للأمير جعفر، قتلا معا من قبل الجيش، في اجتماع أساسي للجماعة: "كانت الكاميرا تتابع مخلفات الانهيار، جدران مسودة وقد ثقبها الرصاص، أثاث مرمي

فوق الأرض.."[56]، يستدعي الاسم التمثال "أبو الهول" الضخم لأحد ملوك الفراعنة، ولهاته الألقاب دور في ترهيب الخصم كما كانت ألقاب العرب في الجاهلية أثناء الحروب.

زبيدة: زوجة الأمير عبد الجليل، طويلة وجميلة، "إمرأة من حديد دموي، في لباس مبرقش، الرجلان في حذاء رياضي والمسدس مرشوق في الحزام"[57]، قوية وعنيفة، وذكية في آن، يستشيرها زوجها في عدة أمور ويأخذ برأيها، دبرت لمقتله، لتتزوج من نافا، تم لها ذلك ، خدعت نافا واحتالت عليه ثم هربت، شخصية متسلطة، تغري الرجال بجمالها ودهائها، كانت تمثل سرية بأكملها، سلبت من الصفات التي حباها الله للأنثى –الحنان، الرقة، الأمومة..– لاختيارها الجبل.

حنضلة: صديق البطل، كان ينشط في الجبل، أخوه الصغير أصيب بالربو فصمم أن يذهب به إلى المنزل، هاتف عمه، فأخذ حنضلة وأصدقاءه إلى منزله، فإذا بدورية عسكرية تهجم عليهم في المنزل، مات حنضلة في الدهليز، يستحضر هذا الاسم عن طريق المخالفة الصحابي الجليل غسيل الملائكة "حنضلة بن أبي عامر".

وعليه يمكن القول إن شخصيات رواية "بم تحلم الذئاب" تنوعت وتعددت تباينت وتقاطعت، كما امتزجت تلك الشخصيات الفنية بأصوات واقعية، وأمدّت الرواية بالجمالية والوضوح ما جعلها أقرب إلى الواقع والحقيقة.

نتائج البحث: يمكن أن نستخلص عدة نتائج منها:

1. اعتمد الروائي في سرده للشخصيات على الطريقة التفسيرية التحليلية التي تقوم بوصف الشخصية من جوانب مختلفة.
2. جاءت الشخصيات في معظمها تاريخية لتحدث الرواية عن الإرهاب وفترة التسعينيات في الجزائر.
3. عبّرت شخوص الرواية عن دورها وزيادة فكسرت بعض الشخصيات ما كان مألوفا كشخصية هند التي تحايلت على الرجال وقتلت زوجها الأمير.
4. ركّزت الرواية على شخصيات شابة وكيف أدت بها عوامل عديدة إلى الانحراف والهلاك.
5. جاءت الشخصيات الفنية محاكية لشخصيات واقعية ما أدى لاصطباغ النص بمسحة الجمالية والقوة والمتانة والمصداقية.

هوامش:

1. آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة، مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ص: 34.
2. نهاد التكرلي، الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1985، ص: 18.
3. محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د،ط/د،ت، ص: 89.
4. ياسمينة خضرا، بم تحلم الذئاب، تر: أمين الزاوي، دار الغرب، وهران، 2002، ص: 90.
5. الرواية، ص: 15.
6. الرواية، ص: 19.

7. الرواية، ص: 245.
8. الرواية، ص: 323.
9. الرواية، ص: 153.
10. الرواية، ص: 142.
11. الرواية، ص: 246.
12. الرواية، ص: 111.
13. الرواية، ص: 201.
14. الرواية، ص: 198.
15. الرواية، ص،ن.
16. الرواية، ص: 137.
17. الرواية، ص: 127.
18. سورة النساء، الآية (125).
19. الرواية، ص: 181.
20. الرواية، ص: 100.
21. الرواية، ص:58.
22. الرواية، ص: 318.
23. الرواية، ص: 60.
24. الرواية، ص: 47.
25. الرواية، ص: 44.
26. الرواية، ص: 321.
27. الرواية، ص: 79.
28. الرواية، ص: 78.
29. الرواية، ص: 79.
30. الرواية، ص:50.
31. الرواية، ص: 51.
32. الرواية، ص: 131.
33. الرواية، ص: 134.
34. الرواية، ص: 159.
35. الرواية، ص: 38.
36. الرواية، ص: 141.

37. الرواية، ص: 232.

38. الرواية، ص: 297.

39. الرواية، ص: 303.

40. الرواية، ص: 310.

41. الرواية، ص: 311.

42. الرواية، ص: 222.

43. الرواية، ص: 201.

44. الرواية، ص: 211-212.

45. الرواية، ص: 210.

46. الرواية، ص: 251.

47. الرواية، ص: 253.

48. الرواية، ص: 254.

49. الرواية، ص: 251.

50. الرواية، ص: 16.

51. الرواية، ص: 17.

52. الرواية، ص: 266.

53. الرواية، ص: 267.

54. الرواية، ص: 276.

55. الرواية، ص: 303.

56. الرواية، ص: 232.

57. الرواية، ص: 294.

مراجع البحث:

1. آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر.
2. محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د،ط/د،ت.
3. نهاد التكرلي، الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1985.
4. ياسمينة خضرا، بم تحلم الذئاب، تر: أمين الزاوي، دار الغرب، وهران، 2002.